الفصل العاشر

هدف الطرح وغايته

obeikandl.com

نختتم كتاب الاستهلال هذا بالوقوف على هدف الطروحات الإسلامية وغاياتها ، ونوضح بداءة أن الهدف يرتبط بغاية قريبة ومقصد مباشر وسريع التحقق ، ويفرز آثاره في المجتمع والبيئة ، ويتعامل مع الواقع على الأجلين القريب والمتوسط ، ونبين كذلك أن الغاية بعيدة وغير مباشرة وتفرز آثارها على مجتمعات أوسع وعلى مديات طويلة وأكثر شمولاً وعمومية .

ويتمثل هدف الطرح الإسلامي في تقويم الأفكار والسلوكات الخاصة بالمسلمين في الزمان المحدد والأماكن المختلفة والمتعددة ، ولا يقتصر الأمر على تقويم الفكر والسلوك فقط بل يتجاوز ذلك إلى بث قويم الأفكار والسلوكات داخل العالم الإسلامي .

كذلك يتمثل هدف الطرح الإسلامي في إنشاء الأفكار والسلوكات ، والإنشاء يعني الخلق والإبداع من صميم المرجعيات والأصول والمصادر الإسلامية ، ويعقب خلق الفكرة وإبداع السلوك بثهما في جميع المجتمعات الإسلامية .

ومن شأن ما تقدم من تقويم الأفكار والسلوكات وإنشائها ثم بثها أن يعمل على إقامة المجتمع المسلم القويم الذي يرتكز على الأصول ويستند على القواعد الإسلامية الصحيحة ، ويمثل هذا هدفاً آخر من أهداف الطرح الإسلامي .

أما الغايات النهائية للطرح الإسلامي فتتعين في زمرة من الغايات بعيدة المدى الأوسع شمولاً والأكثر عمومية ، وترتبط أول زمرة الغايات بترسيخ شريعة الإسلام كأصول وقواعد وكمرجعيات وكأفكار وطروحات ورؤى ، أما ثاني زمرة الغايات فيتعلق بترسيخ عقيدة التوحيد التي تشمل توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الذات والصفات ، وثالث زمرة الغايات يختص بإحياء المنطق الثقافي الإسلامي الذي يعرف بالثقافة الإسلامية ، في حين يتصل رابع زمرة الغايات بإحياء الذات الحضارية للإسلام أي الحضارة الإسلامية .

في هذا الفصل سوف نتناول أهداف الطرح الإسلامي وغاياته من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : أهداف الطرح الإسلامي .

المبحث الثاني : غايات الطرح الإسلامي .

obeikandl.com

المبحث الأول

أهداف الطرح الإسلامي

للطرح الإسلامي أهدافه المباشرة التي ترتبط مباشرة بالمجتمع المسلم فتنقله من وضعية إلى أخرى أكثر مثالية ونموذجية ، وتتمثل هذه الأهداف في الآتي :

أولاً : تقويم الأفكار والسلوكات :

الطرح الإسلامي يستهدف دوماً تصحيح الأفكار والسلوكات وفق نماذج مثالية تستند على أصول وقواعد مستنبطة من المرجعيات الإسلامية .

فتصحيح الأفكار يرتبط بالإسلام كمعتقد وكنظام اجتماعي ، حيث يتوجب على الطروحات الإسلامية أن تتضمن الأفكار الأصولية التي ترتبط بالعقيدة وترتبط بنظامها الاجتماعي والتي تصحح وتعدّل الأفكار السائدة حول المعتقد والنظام الاجتماعي ، ومعنى ما تقدم أن ثمة صراعاً لابد أن ينشأ بين الأفكار السائدة المشوبة بالخطأ وبين الأفكار الأصولية التي تحتويها الطروحات وتأتي في شكل قويم وفق الأصول والقواعد المستنبطة من المرجعيات الشرعية ، ونهاية هذا الصراع لابد أن تحسم لصلحة الأفكار الأصولية التي تفرض نفسها وتطرد الآخر ، أو تعدّل منها وتصححها .

والأفكار تتوزع على شقين : شق يرتبط بالعقيدة وما يتفرع عنها من أصول وفروع كالعبادات والشعائر والنسك والحدود والأحكام . وشق يتصل بالنظام الاجتماعي المرتبط بالعقيدة وما يتولد عنه كأنظمة فرعية وتنظيمات وإجراءات وسلوكات .

وتحتاج عملية تقويم الأفكار بالشكل المشار إليه أعلاه إلى عملية مصاحبة لها تزامنها أو تعقبها وهي خاصة بنشر تلك الأفكار وبثها في كافة المجتمعات الإسلامية ، وقد يتطلب

الأمر أن تتجاوز تلك الأفكار المجتمعات الإسلامية إلى غير الإسلامية للعلم والإحاطة والتبليغ ، وهذا دأب العالم في الوقت الراهن حيث أصبح فضاءً واحداً يخلو من الحواجز والحدود .

أما تصحيح السلوكات فيرتبط كذلك بالإسلام كمعتقد وكنظام اجتماعي ، ولكن ليس كأفكار بل كسلوكات وتصرفات وأفعال ، وتسهل عملية تصحيح السلوكات كثيراً عندما تسبقها عملية تصحيح وتعديل الأفكار ، حيث أن الفكرة تمهد دوماً للسلوك وتسبقه ، وهنا ينبغي على الطروحات الإسلامية أن تتضمن السلوكات القويمة التي ترتكن على الأصول والقواعد الإسلامية المستنبطة من المرجعيات الشرعية ، ومعنى ذلك أن تصحيح الأفكار والسلوكات يتوحد حول مصادره ومنابعه التي تتمثل في المرجعيات الإسلامية ، وهنا لابد أن يحدث صراع — كما حدث من قبل في حالة تصحيح الأفكار — بين السلوكات المعيبة المنتقصة السائدة بين الناس في المجتمعات الإسلامية وبين السلوكات القويمة التي تتضمنها الطروحات الإسلامية والمستنبطة من المرجعيات الإسلامية ، وتكون نتيجة الصراع محسومة كذلك لمصلحة السلوكات الأصولية القويمة .

والسلوكات هي الأخرى تتوزع على شقين : الشق الأول يتصل بالعقيدة أصولها وفروعها ، والشق الثاني يرتبط بالنظام الاجتماعي ونظمه الفرعية وتنظيماته وإجراءاته .

ومثلما حدث مع الأفكار تحتاج السلوكات الإسلامية القويمة التي تتضمنها الطروحات الإسلامية وحتى تتمكن من تصحيح السلوكات المشينة والمعيبة السائدة في المجتمعات الإسلامية أن تنتشر وتتوغل في تلك المجتمعات عن طريق وسائل خاصة وأدوات محددة تنقل أساليب ممارسة المسلمين لشعائرهم ونسكهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم وتفاعلاتهم وفق السلوكات الإسلامية القويمة .

وتجدر الإشارة إلى أن الطروحات الإسلامية الموجهة نحو تقويم الأفكار والسلوكات قد تنهج نهجين : النهج الأول أن تقدم الأفكار والسلوكات الإسلامية الأصولية القويمة بشكل مباشر وتطلب من المسلمين الالتزام بها ، النهج الثاني أن تقدم للأفكار والسلوكات السائدة المشينة والمعيبة وتبرز ما يشوبها من عيوب وأخطاء ثم ترفد ذلك بتقديم الأفكار والسلوكات الإسلامية الأصولية القويمة ، وليس ثمة ما يدعو إلى إجراء أو عقد أي نوع من المقارنات ، لأن الأفكار والسلوكات الإسلامية القويمة والأصولية لا ينبغي أن تقارن بأية أفكار أو سلوكات أخرى مهما كان مصدرها .

ثانياً : إنشاء الأفكار والسلوكات :

ستشمل الطروحات الإسلامية إلى جانب تقويم الأفكار والسلوكات على إنشاء وإيجاد الأفكار والسلوكات ، وإيجاد الفكرة يعنى استنباط أفكار غير موجودة على أرض الواقع من المرجعيات الإسلامية وهذه الأفكار تتعلق بالإسلام كمعتقد وكنظام اجتماعي ، وجدة هذه الأفكار تعنى أن ثمة أفكاراً ومسائل يظل المسلمون في حاجة إلى معرفتها وفهمها واعتناقها وذلك يتم عبر الطروحات الإسلامية ، وهذه هي طبيعة الإسلام وطبيعة مسائلة وقضاياه وتظل مهمة علماء المسلمين متمثلة في إبراز تلك المسائل والقضايا وإيقاف المسلمين عليها .

وكذلك الأمر بالنسبة لإنشاء السلوكات ، فهناك من السلوكات ما لم يعرفه المسلمون بأجيالهم المتعاقبة سواء فيما يتعلق بالعقيدة أو ما يتصل بالنظام الاجتماعي الإسلامي ، وهم في حاجة إلى من يبصرهم بتلك السلوكات التي غابت عن واقعهم ولم يتوصلوا إلى أمثلها كما تشير إليه المرجعيات الإسلامية .

ولا ينبغي أن يغيب عن الذهن أن المتغيرات والمستجدات التي تزخر بها الحياة في المجتمعات الإسلامية تأتى بقضايا وإشكاليات تتطلب مواجهتها بشكل معين من

السلوكات والتصرفات والأفعال وهذه المنظومة من السلوكات والتصرفات والأفعال تتطلب موجهاً ومرشداً يضع الأصل والمثال والنموذج وهذا بالضبط ما تقوم به الطروحات الإسلامية .

ولا يقتصر الأمر بالنسبة لإنشاء الأفكار والسلوكات على عملية الإيجاد أي وضع النموذج والمثال بل يتجاوز ذلك إلى الإيضاح والشرح والتبيين من خلال وسائل معدة ومهيئة للقيام بهذه المهمة حتى تصل عملية التبليغ إلى كافة المسلمين في كل مكان وحتى غير المسلمين حتى يطلعوا على سلوك المسلمين ، فالسلوك والفعل هو أمثل وأخير أساليب الدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثالثاً : إقامة المجتمع المسلم :

المجتمع الإسلامي بصفة عامة ومنذ نشأته وهو يقوم على الفكرة التي تعارف عليها الناس تحت مسمى الثقافة ثم على السلوك الذي درج على تعريفه بالحضارة ، وعليه فقد أصبح هدف الطروحات الإسلامية يتجسد في إحراز أمرين :

الأول يتمثل في الثقافة الإسلامية التي تشكل أفكار أبناء المجتمع المسلم وطريقة تفكيرهم في علاقاتهم : بخالقهم وبأنفسهم وبأقرانهم داخل المجتمع المسلم وبالناس جميعاً ثم بالكون وموجوداته ، الثاني يتجسد في الحضارة الإسلامية التي تشكل سلوكات أبناء المجتمع المسلم وتصرفاتهم وأفعالهم في علاقاتهم : بخالقهم وبأنفسهم وبأقرانهم داخل المجتمع المسلم ثم بالكون وموجوداته ، وعليه يقوم المجتمع المسلم على ثقافة إسلامية وحضارة إسلامية نابعة من المرجعيات الشرعية عن طريق الطروحات الإسلامية ، وسوف نزيد هذه الجزئية تفصيلاً وتوضيحاً في المبحث التالي بوصفها إحدى الغايات النهائية بعيدة المدى للطرح الإسلامي .

المبحث الثاني

الغايات النهائية للطرح الإسلامي

ننتقل في هذا المبحث إلى تناول الغايات النهائية للطرح الإسلامي ، وذلك بعد أن تحدينا للأهداف العاجلة المباشرة قصيرة المدى ، وتتمثل الغايات النهائية للطرح الإسلامي في الآتي :

أولاً : ترسيخ شريعة الإسلام :

إن أول الغايات النهائية التي يقصدها الطرح الإسلامي تتمثل في ترسيخ شريعة الإسلام ، وترسيخ الشريعة بدوره يتم عبر ثلاثة آليات تتجسد فيما يلي :

❖ تقديس وتفعيل المرجعيات الإسلامية :

إن أول ما يفضي إليه الطرح الإسلامي على المدى البعيد هو تقديس المرجعيات الإسلامية المتمثلة في القرآن والسنة كأساسين ومصدرين للشريعة ، فالطرح بعودته المستمرة ورجوعه الدائم إلى هذين المصدرين يبرز ما لهما من قداسة وما يجتمع لهما من توقير وتبجيل لا نظير لها ، فمصدر الطرح هو مرجعه النهائي ، والمرجع النهائي لابد أن تكون له منزلة سامية ومكانة رفيعة لا تداينها في ذلك أية مصادر أو مرجعيات أخرى مهما كانت .

كذلك فالطرح باعتماده المطلق واستناده اللامحدود على المرجعيات الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة يجعل منها العنصر الفعال والمحرك الأساسي لتفاعلات الحياة الاجتماعية بشقيها الفكري والسلوكي ، ويضفي عليها دوماً صفات الحيوية والنشاط ومعايشة الواقع بمتغيراته ومستجداته

❖ تعصير الأصول والقواعد :

يرتبط بما تقدم عضوياً الآلية التالية وهي المتعلقة بتعصير الأصول والقواعد ، فترسخ الشريعة كغاية نهائية من غايات الطرح الإسلامي تعتمد على تعصير الأصول والقواعد ، حيث أن ذلك التعصير يمنح مرجعيات الشريعة سماتها الحقيقية المتمثلة في الفعالية الدائمة والحيوية المستمرة والمقدرة المطلقة على تزويد الطروحات بالأصول والقواعد .

❖ تطوير نماذج وأدوات الحركة :

الآلية الأخرى التي تقود إلى ترسيخ شريعة الإسلام كغاية نهائية للطرح الإسلامي هي المتعلقة بتطوير نماذج وأدوات الحركة ، وهذه الآلية تطور باستمرار نماذج وأدوات الحركة من أنظمة وتنظيمات وإجراءات وسلوكات وتجعلها متوائمة مع الزمان والمكان وما يرتبط بهما من متغيرات ومستجدات ، والنماذج والأدوات تتصل مباشرة بالأصول والقواعد وتتصل بشكل غير مباشر بالمرجعيات ، ومن ثم فهي تقود إلى ترسيخ شريعة الإسلام .

ثانياً : ترسيخ عقيدة التوحيد :

كذلك من غايات الطرح الإسلامي ترسيخ عقيدة التوحيد ، فترسيخ شريعة الإسلام عبر الآليات المذكورة في البند السابق تقود إلى ترسيخ عقيدة التوحيد ، فهذه العقيدة هي غاية الوجود وعناصره ، فإنما خلق الله الواحد الأحد الكون وموجوداته من أجل هذه الغاية ، والطرح الإسلامي يقود في نهاية المطاف إلى تلك الغاية .

وإذا كان التوحيد هو غاية الكون ومآله لا محالة ، فينبغي أن يؤدي إليه كل طرح إسلامي وتنتهي إليه كل رؤية أو وجهة ، فالمرجعيات والمصادر والمنطلقات وما تفضي إليه من ترسيخ وتكريس للمعتقدات تقود إلى توحيد الإله الواحد الأحد ، كذلك فالأصول والقواعد وما يترتب عليها من تنظيم وترتيب حياة الناس تنتهي إلى توحيد رب الناس الكفيل

بصالحهم وطالحهم والمسئول عن مؤمنهم وكافرهم وما دن شك في أن كل المخلوقات وجميع الموجودات توحد الإله الواحد والرب المعبود وتمجد وتقدس ذاته وصفاته التي تفرد بها بحق .

ثالثاً : إحياء المنطق الثقافي الإسلامي [الثقافة الإسلامية] :

الطرح الإسلامي في معناه الواسع بمثابة معرفة بالإسلام وفقه أصول وفروع عقيدته ، ثم بث لتلك المعارف عبر آليات تتناغم مع تفاعلات المجتمع الإنساني وتتغلغل في نسيجه وتنبث في ثناياه ، ثم تستعمل كوسيلة لفهم ظواهر الكون والمجتمع وعلاقات تلك الظواهر ، وبذا تصبح منطلقاً للتفاهم مع موجودات الكون ولغة لخطاب عناصر الوجود ، تفسر الأولى وتحلل الثانية ، وهذا هو منطق الإسلام الثقافي أو ما يسمى بالثقافة الإسلامية .

وعليه فإن تراكمات الطروحات الإسلامية هي في ذات الوقت تراكمات ثقافية خاصة بمنطق الإسلام ووجهته ورؤيته لكل عناصر الوجود وموجودات الكون ، ومن ثم فالعلاقة بين الطرح الإسلامي والثقافة الإسلامية علاقة ذوبان وانصهار ، فكل طرح ينصهر ثم يذوب في مزيج الثقافة الإسلامية ليصبح كل منهما تعبيراً عن الآخر ثم يصير هو الآخر .

فكل طرح إسلامي إذن هو مساهمة بشكل أو بآخر في إحياء الثقافة الإسلامية التي تستجمع قوتها وتنتعش من جزئيات ذلك الطرح إلى أن تنهض عفية بعد أن تكون قد اجتمعت لديها كل مقومات الحياة وعناصر الوجود والتفاعل مع عناصر الوجود وموجودات الكون .

رابعاً : إحياء الذات الحضارية للإسلام [الحضارة الإسلامية] :

الحضارة هي جماع السلوكات والتصرفات والأفعال وتجسيد الأفكار التي تحدد رؤية الناس لكل ما يحيط بهم وتوضح تفسيرهم لظواهر الطبيعة والمجتمع وتبين علاقاتهم بعناصر

الوجود وموجودات الكون وترتكز الحضارة الإسلامية على عناصر ثلاث : أولها الإله الخالق سبحانه الذي سخر الموجودات وعناصر الكون ، وثانيها الكون بموجوداته وعناصره التي سخرها الله للإنسان ، وثالثها الإنسان المسلم الذي يتعامل مع تلك العناصر .

وللحضارة الإسلامية مقوماتها التي تتجسد في : الدعوة إلى الإسلام ، والتنظيم ، والنظام الاجتماعي والجيش والمدنية والعمران والعلوم الطبيعية ، ويعتبر العامل أو البُعد الأخلاقي الروحي هو أهم ما يميز الحضارة الإسلامية بالإضافة إلى التوازن الذي تقيمه تلك الحضارة بين البعدين المادي والأخلاقي الروحي ، ولقد تعددت نماذج الحضارة الإسلامية على كافة أرجاء العالم الإسلامي فظهرت تلك النماذج في كل مكان مرتكزة على مقوم من المقومات مبرزة له بحيث تأخذ شكله ، فقد برز في بعض الأماكن عنصر التنظيم الإداري وفي أماكن أخرى برز عنصر التنظيم الاجتماعي ، وفي أماكن ثالثة برز عنصر المدنية والعمران وفي أماكن أخيرة برز عنصر العلوم ، وقد صبغت الدعوة الإسلامية كل تلك العناصر والمقومات ، وهناك نماذج جمعت أكثر من مقوم من هذه المقومات وهناك نماذج جمعتها جميعاً .

والمتأمل للحضارة الإسلامية بعناصرها وسماتها ومقوماتها وتطورها يمكن أن يتوصل إلى نتيجة مؤداها أن الحضارة تمثل البوتقة التي تجتمع فيها وتعتزج كافة أهداف وغايات الطرح الإسلامي ، من تقويم الأفكار والسلوكات وإنشاء الأفكار والسلوكات ثم تقديس وتفعيل المرجعيات الإسلامية وتعصير الأصول والقواعد وتطوير نماذج وأدوات الحركة ويؤدى كل ذلك إلى ترسيخ شريعة الإسلام ثم ترسيخ عقيدة التوحيد ثم إحياء المنطق الثقافي للإسلام وكل ما تقدم في مجتمع مسلم صحيح الأصول والقواعد .

في ختام هذا الاستهلال ننتهي إلى القول بأن هذا العمل الموسوعي بمجلداته الإحدى عشر وأجزائه الخمسة والأربعين قد استخدم منهجاً أصولياً علمياً يتواءم مع طبيعة محتواه ومع أهدافه وغاياته ، وقد كان من شأن هذا المنهج أن يُخرج زمرة من المنظومات المعرفية في كافة المعارف الإنسانية في السياسية في الاقتصاد في الإدارة في الحضارة في الثقافة في الاجتماع والمجتمع في التوازن بين الشعائر والشرائع في الحرب في العلاقات الدولية وأخيراً في الدعوة الإسلامية .

إن هذا المنهج يسعى نحو استحضار الأصول والقواعد من مرجعياتها الإسلامية الخالدة التي نزلت من عند الله منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ليبرز ما فيها من أصالة ورصانة ومثالية ونموذجية ليضاهيها ويمزجها بالواقع المعاصر ويخرج من هذه المضاهاة ببلورة رؤية الإسلام ورأيه تجاه متغيرات العصر ومستجدات الأيام ليبدو على حقيقته التي جاء عليها من عند الله الواحد الأحد أصيلاً معاصراً محققاً معادلة الأصالة المعاصرة .

والله من وراء القصد